

## 137233 - لماذا كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يخافون من ربهم مع تبشيرهم بالجنة ؟

### السؤال

لماذا كان الصحابة المبشرون بالجنة يخافون الله أشد الخوف ، على الرغم أن الرسول صلى الله عليه وسلم بشرهم بالجنة ، بل الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه كان أخوفهم؟

### الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً:

لا شك أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هم خير هذه الأمة وأفضلها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتاب والسنة ، وما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف : أن خير قرون هذه الأمة في الأعمال ، والأقوال ، والاعتقاد ، وغيرها من كل فضيلة : أن خيرها : القرن الأول ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه ، وأنهم أفضل من الخلف في كل فضيلة ، من علم وعمل ، وإيمان ، وعقل ، ودين ، وبيان ، وعبادة ، وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل ، هذا لا يدفعه إلا من كابر المعلوم بالضرورة من دين الإسلام ، وأضله الله على علم ، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : " مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسْتَنَّاً فَلَيْسَتْ بِيَمِينِ مَنْ قَدِمَات ؛ فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمِنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ ، أَوْلَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ أَبْرُهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ قُلُوباً ، وَأَعْمَقُهَا عِلْماً ، وَأَقْلَهَا تَكْلِفاً ، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لَصَحْبَةِ نَبِيِّهِ ، وَإِقَامَةِ دِينِهِ ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ حَقَّهُمْ ، وَتَمَسَّكُوا بِهِدْيِهِمْ ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ " .

وما أحسن ما قال الشافعي رحمه الله في رسالته : " هم فوقنا في كل علم ، وعقل ، ودين ، وفضل ، وكل سبب ينال به علم ، أو يدرك به هدى " .

" مجموع الفتاوى " ( 4 / 157 ، 158 ) .

ثانياً:

عبادة الله تعالى تتضمن الخوف ، والرجاء ، والمحبة له سبحانه تعالى ؛ وهذا هو كمال الإيمان .

قال ابن القيم رحمه الله :

وسبب هذا : اقتران الخوف من الله تعالى بحبه ، وإرادته ، ولهذا قال بعض السلف : " مَنْ عبد الله تعالى بالحب وحده : فهو زنديق ، ومن عبده بالخوف وحده : فهو حروري - أي : من الخوارج - ، ومن عبده بالرجاء وحده : فهو مرجئ ، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء : فهو مؤمن .

وقد جمع الله تعالى هذه المقامات الثلاثة بقوله : ( أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ) الإسراء/ 57 ، فابتغاء الوسيلة هو محبته ، الداعية إلى التقرب إليه ، ثم ذكر بعدها الرجاء والخوف ، فهذه طريقة عباده ، وأوليائه .

" بدائع الفوائد " ( 3 / 522 ) .

ثالثاً:

لا يستغرب أن يكون الصحابة أشد الناس خوفاً من الله ، فكلما ازداد العبد إيماناً : ازداد خوفه من الله ، ألا ترى أن الله تعالى أثنى على أنبيائه ، ورسله بهذه الصفة ، قال تعالى : ( الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ) الأحزاب/ 39 ،

وقال عن الملائكة الكرام : ( وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ ) الأنبياء/ 28 ، وقال : ( يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ) النحل/ 50 .

وعن جابر رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ( مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ وَجَبْرِيْلُ كَالْحَلِسِ الْبَالِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ) رواه الطبراني في " الأوسط " ( 5 / 64 ) ، وصححه الألباني في " السلسلة الصحيحة " ( 2289 ) .  
والحلس البالي : الثوب البالي .

وهكذا كان حال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد قال عن نفسه : ( إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا ) رواه البخاري (20) ومسلم (1108) .

قال ابن القيم رحمه الله :

والمقصود : أن الخوف من لوازم الإيمان ، وموجباته ، فلا يتخلف عنه ، وقال تعالى : ( فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْا اللَّهَ ) المائدة/ 44 ، وقد أثنى سبحانه على أقرب عباده إليه بالخوف منه ، فقال عن أنبيائه بعد أن أثنى عليهم ومدحهم : ( إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ) الأنبياء/ 90 ، فالرغب : الرجاء ، والرغبة ، والرهب : الخوف ، والخشية .

وقال عن ملائكته الذين قد آمنهم من عذابه : ( يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ) النحل/ 50 ، وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( إني أعلمكم بالله وأشدكم له خشية ) ، وفي لفظ آخر : ( إني أخوفكم لله وأعلمكم بما أتقي ) - رواه مسلم - ، وكان يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء - رواه أبو داود والنسائي ، وصححه الألباني في " صحيح أبي داود " - .

وقد قال تعالى : ( إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ) فاطر/ 28 ، فكلما كان العبد بالله أعلم : كان له أخوف ، قال ابن مسعود : وكفى بخشية الله علماً .

ونقصان الخوف من الله : إنما هو لنقصان معرفة العبد به ؛ فأعرف الناس : أخشاهم لله ، ومن عرف الله : اشتد حياؤه منه ، وخوفه له ، وحببه له ، وكلما ازداد معرفة : ازداد حياءً ، وخوفاً ، وحباً ، فالخوف من أجل منازل الطريق ، وخوف الخاصة : أعظم من خوف العامة ، وهم إليه أحوج ، وهم بهم أليق ، ولهم ألزم .

" طريق الهجرتين " ( 423 ، 424 ) .

فعلى ذلك فلما كان الصحابة أعلم ، وأتقى لله ، وأعرف به : استلزم ذلك عظم خوفهم منه تعالى ، مع الرجاء ، والمحبة ، وهكذا حال الأنبياء الذين هم أعرف ، وأعلم ، وأتقى لله تعالى من غيرهم من الناس .

ويمكن تلخيص أسباب خوف النبي صلى الله عليه وسلم ، وصحابته الكرام ممن بشر بالجنة ، بما يلي :

1. أنهم عرفوا معنى عبادة ربهم تعالى ، وكان خوفهم من الله تعالى هو تحقيق لركن من أركانها ، مع تحقيق ركني الرجاء ، والمحبة .

2. أنهم كانوا علماء بالله تعالى ، ومن كان بالله أعلم كان منه أخوف .

3. بحثاً عن مزيد ثواب ، وعظيم أجر ، من ربهم تعالى ، قال تعالى : ( وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ) الرحمن/ 46 .

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإياكم من أهل الخوف ، والرجاء ، والمحبة .

والله أعلم